يوم ميسلون

« تأليف الأستاذ ساطع الحصري بك »

بقلم الأستاذ حبيب الزحلاوي

الأستاذ ساطع الحصري مؤلف هذا الكتاب ، علم من أبرز أعلام الرجال في البلاد العربية ، وعالم محقق مدقق ، صبور على التتبع ، مفطور على التقصي والتحليل ، وصرب فاضل له في المعارف رأي صائب سديد ، وفي السياسة باع طويل ، ودراية واسعة ، ولباقة نادرة ، ما وكل إليه شأن من شؤون الدولة إلا قام به خير قيام ، ولا أسند إليه عمل من الأعمال إلا بلغ به الغاية من التمام

من أحدث مؤلفاته كتاب « يوم ميسلون » وليوم ميسلون شأن أي شأن في تاريخ الأمة العربية ، فإن أحداثه الكبرى برغم أنها دكت عرشاً ، وأزلت بالشعب السوري هواناً ، وأقامت بدلا من العرش وهو رمز الأمة ، طودا للاستعمار البغيض جثم على الصدور ، وثلم الكرامة الواعية . فإن تلك الأحداث على عنفها لم تكن عاجزة فقط عن قتل روح الأمة ومحو قوتها المعنوية بل كانت باعثاً من أكبر البواعث على الاستفزاز وعلى النشاط للجهاد ومحو آثار ذلك اليوم المشئوم ، ودرء أخطار مثله .

قرأت الكثير مما كتبه الفرنسيون في تبرير يوم ميسلون ، وسمعت الكثير من أقوال رجال سورية العاملين ، منهم الذين شاركوا في التمهيد ليوم ميسلون ، ومنهم من عمل ليتفادى أو يستبدل أحداث ذلك اليوم المشئوم ، فلم أقع على ما يروي غلة متعطش إلى معرفة الحقيقة ، ولكن هذا الكتاب ، لا ينير فقط طريق المؤرخ ، بل يعطيه الوثائق والأسانيد الصحيحة ويطلعه على حقائق كان بعضها خافياً على الكثيرين من رجال الحكم ، وبعضها الآخر كان يعمل على اخفائه رجال الحكم أنفسهم ، أو تجار الوطنية من عباد الوظائف الكبرى ، وعلى طمس معالمه حتى لا تتم زعامتهم ، ولا يفتضح أمرهم عند سواد الشعب ، الذي كان حتى الأمس القريب ، يؤخذ بالتقاليد العتيقة البالية فيحترم فلانا الحاكم أو الزعيم لا لصفات تؤهله للزعامة أو الحكم ، بل لأنه من آل فلان الحاكمين أو الأثرياء . ويمجد علانا الموظف لأنه يشغل مقعد الوظيفة

يقول المؤلف الفاضل « ان حوادث يوم ميسلون لم تكن بنت ساعتها ، بل كانت صفحة من صفحات القضية السورية ، والقضية السورية نفسها لم تكن قضية قائمة بذاتها ، بل كانت جزءاً من القضية العربية ، كما أن القضية العربية كانت وثيقة الارتباط بالمسألة الشرقية » ولكي يقيم المؤلف الدليل على هذه الارتباطات المتسلسلة أنشأ فصلا كان بمثابة تمهيد يبرز أطماع فرنسا في سورية جعل مردها إلى الحروب الصليبية ، كما كان بمثابة توضيح لسياستها الاستعمارية التي سلكتها في الربع الأول من القرن الثامن عشر ، وقد أخذت منذ ذلك الحين تبسط نفوذها على بلاد إسلامية واسعة الأرجاء ، وتملن أنها صاحبة امبراطورية إســـلامية وإرث عظيم يؤول إليها من تركة الدولة العثمانية ، ويستعرض المؤلف الفاضل ببراعة وإيجاز فصول اصطدام فرنسا الاستعمارية بالعقبات الدولية وتناحرها مع الإنجليز ، أصحاب الامبراطورية التي لا تغرب الشمس عنها لامتدادها في أصقاع الأرض ، لينتهي إلى الاتفاق الذي تم بين الدولتين الحليفتين ، فرنسا وانجلترا على تنفيذ معاهدة سايكس ـ بيكو بنصوصها وحذافيرها ، وكان ذلك الاتفاق بمثابة مقدمة لحلول القضاء المشئوم يوم ميسلون .

فصول الكتاب متعددة متنوعة بارعة ، ولعل ابرعها الفصل الذي تم فيه اختيار أعضاء مجلس المديرين زميلهم السيد ساطع الحصري وقد حبذ الملك رأيهم للسفر إلى مقر قيادة الفرنسيين في لبنان قبيل زحف الجيش الفرنسي على سورية للتفاهم مع الجنرال غورو المندوب السامي ، خصوصاً وقد قبل وزير الخارجية السورية كافة المطالب الفرنسية : ففي هذا الفصل يصف المؤلف البارع الموقف أبلغ وصف ، ويكشف القناع الشفاف عن مطامع الفرنسيين المستعمرين ، وكيفية توسلهم بكل وسيلة تحقق أمانيهم وتدرجهم في الطلب حتى يستوفوا أغراضهم تامة كاملة . ثم يفضح أذناب المستعمرين من أبناء سورية بسرد نتف من أعمالهم ولمحات من تصرفاتهم وسكوته المهذب عن ذكر

الشريد

(تأليف على بك حلمى)

للأستاذ محمد خليفه التونسى

بين يدى بهذا العنوان مسرحية ذات ثلاثة فصول كتبها على بك حلمى مدير جرجا .

١ — فالمؤلف — مع أنه من رجال الإدارة والشرطة — يمتاز باطلاع واسع عميق ، وهو — إلى ذلك — أديب يكتب المقالات ويديج المسرحيات ، وأقرب الأمثلة إلينا بحثه المتع « محمد والأمن العام » الذى نشرته الرسالة فى عدديها (٧١٠ ، ٧١١) وهذه المسرحية .

٢ — والمشكلة الكبرى التى تدور حولها هذه المسرحية هى مشكلة الطفولة المحرومة من عطف الآباء والأمهات وحمايتهم ، والطابع المصرى يبدو واضحاً راسخاً على كل ما فى المسرحية سواء فى ذلك موضوعها الأكبر ، والحوادث التى تظهر دقائقه ، والشخوص التى تظهر فيه ، وهذا امتياز كبير قل أن يتوفر اليوم فى إنتاجنا القصصى عامة والمسرحى خاصة ، فهو قصص عاطل من السمات والملامح المحلية حتى إن الناقد يبحث فيما يقرأ عن المؤلف والبيئة التى نشأ فيها قصصه والشخوص المفردة التى يعبر عن حياتها فلا يكاد يفوز — مهما جد — بطائل ، فمن الممكن أن يقع بعد ألف عام أو قبل ألف ، هنا أو فى أى مكان من الأرض أو غيرها حيث يمكن أن يكون بشراً ، فإذا ظفر الناقد بعد الكد بشىء من هذه السمات والملامح لم يجدها إلا عائلة حائرة مائعة ، مع أن الخصائص أول شرط من شروط الإنتاج الأدبى عامة والقصصى خاصة ، والخصائص فى مسرحية الشريد بارزة لا فى مشكلتها الكبرى وحوادثها وشخوصها الأساسية فحسب ، بل فى المشكلات الثانوية المنتثرة فيها دون قصد خاص إليها .

٣ — وقد جاءت هذه المسرحية فى إبانها ، فمشكلة الطفولة المشردة من مشكلاتنا القائمة بيننا الآن بكل متاعبها ، وأعباؤها لا تزال تثقل كواهل كثير من أولى الأمر فينا فى عدة وزارات ، كما تشغل عقول كثير غيرهم من محبى الإصلاح ودعاته .

وعلى الرغم مما قرأته من بحوث متعددة لكثير ممن كتبوا فى هذه المشكلة حكوميين وغير حكوميين — لم أستطع أن ألم بخفاياها وصعوباتها وطرق علاجها كما ألمت بها من هذه المسرحية فهى تصور أوضح تصوير حياة الأطفال المشردين بكل ما تزخر به من منغصات وأوجاع ، وما يتعرضون له من استغلال الزعار والشطار لهم ليعيثوا فساداً فى الأرض ، والتخفى وراء براءتهم والشفقة عليهم للعبث بقوانين المجتمع ونظمه وحمايته توقياً من العواقب الوخيمة ، فهم يسخرونهم فى السطو والاختلاس والتجارة المتكرة بالأغراض والسلع المحرمة ؛ كى يضللوا حماة الأمن الذين لا يجدون فى هؤلاء الأبالسة الصغار غير أطفال ملائكة أطهار جنى عليهم آباؤهم وحرمهم المجتمع عنايته دون ذنب ، فهم لا يستحقون منهم إلا العطف والعون ، مما يتيح لفساد محركيهم فى الخفاء أن يستشرى ويتسع دون أن يفطن إليه الموكلون بدرئه .

ولا شك أن صلة المؤلف بهذه المشكلة أهم عوامل نجاحه فى تعرف حدودها وخفاياها وأساليب علاجها الميسورة .

أعمالهم ، فتنطق الأعمال بلسان أوضح من تبيان الأسماء ، فلا يتمالك القارىء من استنزال لعنة يصبها على ذلك الزعيم الخسيس أو ذاك المتكالب على الوزارة أو الطامع فى وظيفة ، أو هذا المائع المتفلسف يلبس لكل حالة لبوسها

فى الكتاب فصول عدة لا يحيد الكاتب تاريخ سورية من اقتباس بعضها بالنص ، والاستئناس والاسترشاد ببعضها الآخر لأنها بمثابة متون تحتاج إلى شرح وتفصيل

يرى المؤلف الفاضل أن واقعة ميسلون — وإن كانت بمثابة الفصل الأخير من رواية « المنافسة الدولية » التى حامت حول سورية — فإنها كانت فى الوقت نفسه بمثابة الفصل الأول من منقبة « المنافسة الوطنية القومية » التى قامت فى سورية ضد القوى الفرنسوية . فهذا القول صحيح لا غبار عليه ، وإنا نتمنى مخلصين أن تكون أعمال المتنافسين قد اتجهت لتتجه الاتجاه الخاص فى بناء الملك على أوطد دعائم العدل والامن والقوة بشرط أن لا تأخذها نشوة الانتصار بإجلاء الفرنسويين وتنام عن تقلبات السياسة والأعيب عباد كراسى الحكم

يطول بى المقام لو وقفت حيال كل موضوع من مواضيع هذا السفر القيم ، ولكنى أدعو قراء العربية إلى اقتنائه ، ومن ثم أقف لأعترف بفضل مؤلفه الرجل الكريم الذى دون أحداث أمة ناهضة وعلم ناشئتها وما برح يعلمها كيف تزجر زعماؤها وكيف تهدى حكامها سبيل الحرية والاستقلال

حبيب الزحلاوى